نوعية الداخلى والخارجى للعائلة فى نظم المجتمع

الدكتور مفتى مُحَمَّد سليم نقشبندى[1]

الحمد لله حمد الشاكرين والصلوة والسلام سيد العالمين و آله الطاهرين وأصحابه الماجدين ، وبعد!

فإن أي انسان عاقل متجرد من الأهواء المضلة ، والشهوات النفسية المدمرة ، والاحقاد التى تحجب الرؤية ، وتعمى البصيرة- كلما تمعن فى النظام الربانى والقانون الإلٰهى فى أي شأن من الشؤن وجد من كمال التشريع ، وجمال التوحيد ، وجلال التقنن ، وما يعجز البشر عن وصفه وإدراک جميع فوائده وآثاره، وصدّق القائل الكريم:

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هوَ شِفَاء وَرَحْمَة لِّلْمُؤْمِنِيْنَ}(١)

ومن ذلک موضوع الزواج-

فإن الشبان والشواب إذا اكتمل نضج شبابهم ، وجرت الدماء الفوارة فى عروقهم ، وتفتحت أبواب الحياة الرحبة أمام عقولهم انطلقوا كما ينطلق الأسد من محبسه ، يشبع غرائزه التى أيقظتها قوة الشباب ، وأطلقها الوعي بمعاني الحياة ، والرغبة فى التشبع بما فيها من زينة وجمال ومشتهيات متنوعة ، وعلى رأس هذه المشتهيات الرغبة الجنسية-

وترى هذا الشباب مندفعا إلى كل جهة يكسر القيود ، ويهدم السدود ، ويجتاز الصعاب إلى ما يريد أو إلى ما يشتهي- فظهرت الأمراض النفسية ، والأوبئة الجسدية، والانحلال الخلقى ، والانحطاط الاجتماعى ، وضاعت فى سبيل هذه الامراض أموال لا حصر لها ، ودمّرت تلک الأوبئة أسرّا بأكملها ، وأدخلت الشقاء والبؤس والنعاسة على مجتمعات كثيرة-

[1] موظف التحقيق بقسم اللغة العربية وآدابها وعلوم الإسلامية، الجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد

ولو تدبرت فى منهج الله وتشريعاته الخاصة بحماية الإنسان من ضراوة هذه الغريزة لوجدت هذه التشريعات تجعله فى كل طور من أطوار يجد النور الذى يهديه- والتعاليم التى تحنو عليه وتربيه ، والأوامر التى تهتم بكل جانب فيه- فيها لمسة الحنان والرحمة ، وحسن الرعاية والعناية ، وإشباع الغرائز والعواطف بكل ما فيه من نبل وكمال وطهارة مع رقابة كاملة من الله الذى لا تخفى عليه خافية-

ونظرة إلى العناية بالشبان والشواب عند ما يفور الدم فى عروقهم تجعلك تدرك أن الله تعالىٰ أرحم بعباده من الأم بولدها-

فإن تشريعات الله تعالى تجعل للأسرة نظاما داخليا ، ونظاما خارجيا التى تتعلق بالمجتمع وبذلك النظام تتأثر خارج الأسرة كما تنضبط داخل الأسرة وبها تترقى المجتمع إلى المنازل العالية- فالأسرة فيما بينها لها آداب تراعى ، وتوجيهات تتبع ، وإرشادات تحافظ عليها من كل ما يمس شرفها وكرامتها وتحميها من جميع أسباب القلق والتمزق والانحراف ، وتظللها بالجمال والبهجة والحياة الطيبة-

والأسرة فيما يتصل بالمجتمع عندها تعاليم و توجيهات و قوانين تجعلها فى مأمن من العواصف المدمرة ، والأخطاء التى تجلب التعاسة والشقاء ، وهذه التعاليم تأخذ الأسرة بالحكمة ، وتبصرها بالأخطار المحدقة ، وتأمرها بتزويج البنين والبنات فى سن مبكرة ، وتوجب على كل من الزوج والزوجة حقوقا تجعل من الحياة الزوجية سعادة حقة ، ومظلة واقية ، وشجرة تثمر من أجمل ما فى الحياة: من بنين وبنات يحبون الله ويحبون بحبه جميع خلقه-

وما من أسرة أخذت بمنهج الله و تشريعه إلا وظللتها السعاة ، وعاشت آمنة مستقرة ، وكانت فى المجتمع منارة تهدى ، ولبنات تبنى أجمل بناء وأحسنه-

وما من أسرة أخذت أعرضت عن تعاليم ربها ، وإرشادات نبيها إلا وأصابها من التعاسة والشقاوة والضياع والحرمان ما يفوق الحصر ، ويشقى بشقائها كل من عايشها واختلط بها وتابعها فى انحرافها عن شرع الله- ويكفيها قول الله تعالى فيها:

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِىْ فَإِنَّ لَه مَعِيْشَة ضَنكاً وَنَحْشُرُه يَوْمَ الْقِيَامَة أَعْمٰى}(٢)

النظام الداخلى للأسرة:

وبعد البحث والدلائل والأخلاق نمعن النظر على الموضوعات التالية التى يتعلق بالنظام الداخلى للأسرة- وبعد نتكلم عن النظام الخارجى التى تتعلق بالمجتمع:

١-تشكيل الأسرة

٢-حقوق كل من الزوجين على الآخر

٣-نفقة الأولاد والأقارب

٤-داخل الأسرة يؤثر على نظم المجتمع والفساد

٥-ضرورة تحديد العدو فى معركة الصراع

٦-تكامل المجتمع ورد الفساد

أوّلاً: تعريف الأسرة:

تطلق العرب الأسرة على ''عشيرة الرجل و رهطه الأدنون لانه يتقوى بهم''(٣) والأسرة فى اللغة: ''الشدُّ بالقيد ، سمي الأسير بذلک ، ثم قيل لكل مأخوذ و مقيد وإن لم يكون مشدودا أسير-''(٤)

والمعنى الاصطلاحى للأسرة قريب من المعنى اللغوى ، فهو يطلق على الرجل وزوجته وأبويه وأولاده- وهؤلاء هم عشيرة الرجل ورهطه الأدنون ، تتسع دائرة الأسرة والعائلة فتشمل الاخوة والأعمام وأبناء هم حتى تصبح عشيرة ، ثم تتسع حتى تكون وتصبح قبيلة- وبنيان هذا تبنى على الزواج والنكاح بين المرأة والرجل فنبيّن الزواج ما هو؟

ثانياً: تعريف الزواج:

أصل المعنى اللغوى للزواج فى لغة العرب الاقتران والارتباط ، تقول العرب:'' زوّج الشيئ وزوّجه إليه قرنه ، ومنه قوله تعالى:

{وَزَوَّجْنَاهمْ بِحُوْرٍ عيْن}(٦) {أيْ قَرْنَاهمْ}(٧)

والنكاح فى اللغة: التداخل ، تقول العرب : تناكحت الأشجار إذا تمايلت ، وانضم بعضها إلى بعض-(٨)

وقد عرف قانون الاحوال الشخصية الأردنى فى مادته الثانية : الزواج بأنه عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعا لتكوين أسرة وإيجاد نسل بينها-(٩)

ثالثاً: أهمية الأسرة فى القرآن:

كل الشرائع التى أنزلها البارى تعالى إهتمت بالأسرة اهتماما كبيرا ، ونستطيع أن نقول: إن الأسر بمثابة الخلايا التى تكوّن جسم المجتمعات الإنسانية ، وهى التى تقيم الروابط والعلائق بين أبناء المجتمع الواحد:

{وَهوَ الَّذِىْ خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَه نَسَباً وَصِهراً}(١٠)

ولا يتصور أن تقوم الحياة الانسانية على استقامة إذا هدمت الأسر ، وتقطعت العلائق التى تقيمها الأسر بين بنى البشر ، والذين ينادون بهدم نظام الأسرة ، ويزعمون أنه نظام عتيق ينبغى الخلاص منه ضالون ، وهم لا يريدون بالبشرية خيرا ، وقد كانت دعوتهم ولا زالت صوتاً نشازا على مرّ التاريخ الإنسانى- فالشيوعية تدعوا لى شيوعية المال والنساء ، وتحطيم الأسر ، واجتثاث أصولها ، ولكن دعوتهم لم تصادف نجاحاً-

وفى مقابل هؤلاء زعم أقوام من الذين غلوا فى التعبد أن العلاقة الجنسية قذارة و وساخة ، وزعموا أن الرجل المثالى هو الذى يترهبن ولا يتزوج ، وأن المرأة المثالية هى التى تعزف عن الزواج وتتبتل ، ولو رضبت البشرية بهذا المسار لانتهى الوجود الانسانى فى هذا الارض-

إن هذه الدعوة تصادم الفطرة الإنسانية ، وتصادم الحق الذى ينبغى أن تقوم عليه حياة البشر-

وقد تمرد النصارى على دينهم المحرف ، فعاد المجتمع الذى يدعوه دينه المحرف إلى الرهبنة مجتمعا أقرب إلى الإباحية منه إلى الرهبنة ، وما حديث دول الغرب وما يجرى فى مجتمعاتهم بين رجالهم ونسائهم بسر- إن الذى يقرره الإسلام أن الزواج هو سنة الحياة وهو يقتضي تشكيل الأسرة على أسس وأصول وإن لم يحدث ذلک فانه يقع فساد كبير-

رابعاً: حكمة تشريع الزواج فى القرآن:

للزواج حكم تدركها عقول أولى الألباب ، وقد أشارت إليها نصوص الكتاب العزيز ، فمن ذلک:

١-أنه سكن للنفوس ، قال تعالى:

{وَمِنْ اٰيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّة وَرَحْمَة}(١١)

وكلمة ''تسكنوا'' تعنى حاجة فطرية بعيدة الغور فى النفس الانسانية ، وإذا لم تلبّ هذه الحاجة الفطرية فإن البديل هو القلق النفسى ، والتعب القلبي ، وقد عدّ علماء النفس العزوف عن الزواج أحد أسباب الأمراض النفسية السائدة فى عالم الغرب-

والزواج سكن لأن زوج الإنسان جزء منه فحواء عليها السلام مخلوقة من آدم عليه السلام ، فالرجل والمرأة متوافقان نفسيا ، وروحيا ، ولذلک فإن المشاعر الإنسانية الراقية من الود والرحمة تنشأ وتنمو فى ظلال العلاقة الزوجية ، وجعل بينكم مودة ورحمة-''(١٢)

٢-الزواج سبيل تكاثر الجنس الإنسانى فوق ظهر البسيطة ، كذلک شاء الخالق تبارک وتعالى:

{يٰأَيُّها النَّاسُ اتَّقُواْ رَ بَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَة وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَاء }(١٣)

٣-إن عزوف البشر جميعا عن الزواج ينهى الوجود الإنسانى ويوقفه ، وقيام العلاقة بين الرجل والمرأة على الإباحية من غير نظام يؤدى إلى اختلاط المياه واشتباه الأنساب ، وتضييع الأولاد لعدم من يدعيهم-

٤-إذا شاء ت المرأة أن تقوم على تربية الأولاد الذين لا ينسبون إلى أب فإن ذلک يشق عليها ، ذلک أن المرأة ضعيفة ، وخاصة فى حملها حيث تحتاج إلى العون والرعاية ، ثم حين تضع حملها ، وتحتاج إلى النفقة على نفسها و ولدها ، وليس من العدل أن تتولى وحدها القيام على الأولاد- وإذا قيل إن الدولة هى التى تربي الأولاد وتقوم عليهم- فالجواب واضح ، إن الملاجئ لا تربى أطفالا ، ولا تعطى حنانا ، والأطفال ليسو كأبناء الحيوانات يمكنهم أن يتربوا فى الحظائر إن الأطفال الذين ينزعون من أحضان الأمهات ، ويفقدون رعاية الآباء ، ويعيشون معيشة القطيع يخرجون حاقدين على المجتمعات التى أهملتهم واحتقرتهم ، يخرجون مرضى النفوس ، ثم يكونون بلاء على أمتهم ومجتمعهم-

خامساً: ترغيب الزواج فى القرآن:

امتن الله على عباده بأنه خلق لهم من أنفسهم أزواجا:

{وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِيْنَ وَحَفَدَة }(١٤)

وأمر بإنكاح الأيامى :

{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامٰى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُوْنُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِه }(١٥)

وفى الحديث : '' يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء ة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء-(١٦)وبين القرآن أن الزواج سنة المرسلين :

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّة}(١٧)

منهج القرآن فى تشكيل الأسرة:

بحث الإسلام كلا من الرجل والمرأة على إحسان اختيار الطرف الآخر عند إرادة الزواج فنطق القرآن به :

{فَانْكِحُوْا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنٰى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَة}(١٨)

قال الله تعالى:

{فَلاَ تَعْضُلُوهنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهم بِالْمَعْرُوفِ}(١٩)

فلزمت فى الشريعة الرضاء من المنكوحة فبغير الرضاء لا ينعقد النكاح فبهذا الرضاء تنعقد المعاشرة الحسنة بين الناكحين- فذلك نوعية الداخلية للأسرة التى أثرت فى الخارج مع المجتمع- فلما كان النظام الداخلى للعائلة بهذا النهج مستحكم فبهذا يتأثر المجتمع الخارجى والنظام الخارجى-

فى تلك الآية فان كانوا الرجال مخاطبين ولكن الاختيار عند النسآء أيضا محمود عند الإسلام كما اختارت اكثر امهات المؤمنين النكاح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم-

والاختيار عند البشر له مقاييس مختلفة ، فمنهم من يرى مقياس الصلاح هو الغنى ، وآخرون يرون الحسب ، وفريق يراه الجمال ، وفريق يراه القدرة على العمل الشاق المضنى-

فإن صاحبة الدين الأقل جمالا أو غنىً أو حسبا أفضل فى ميزان الإسلام وأحرى بالتوجه إلى الزواج منها ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : '' تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك-''(٢٠)

إن المال قد يذهب ، والجمال قد يزوي ، والحسب قد يجلب الضرور ، والدين يزين بالتقوى ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، ويحفظ الحقوق ، ويأمر بالعدل والرحمة ، ويمنع من الغراف والزيغ والطغيان والتبذير ، والإسلام يأمر المرأة الصالحة بأن تكون مثال الزوجة الخيرة، فدينها يأمرها بأن تكون كذلك- كما قال رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم : '' ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظرإليها سرته ، و إن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله-''(٢٠) لأن بهذا الأنسية فى العائلة تتكامل الأسرة فى الداخل وتكون التربية للأولاد على الطريق الحسن التى تكتمل الانسان وهو سيكون فردا كاملا فى المجتمع-

حقوق كل من الزوجين على الآخر:

لتكميل النظام الداخلى للعائلة قد عين القرآن الكريم للرجل على زوجه حقوق، وللمرأة على زوجها حقوق ، والأصل فى هذا قوله تعالى:

{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِىْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَة }(٢١)

قال ابن الحبيب فى الواضحة:

'' حكم النبى صلى الله عليه وسلم بين على وفاطمة رضى الله عنهما حين اشتكيا إليه الخدمة فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة خدمت البيت ، وحكم على علىّ بالخدمة الظاهرة ، ثم قال ابن الحبيب : والخدمة الباطنة : العجن ، والطبخ والفرش ، وكنس البيت ، واستقاء الماء وعمل البيت كله-''(٢٢)

وفى الصحيحين :

'' أن فاطمة رضى الله عنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى فى يديها من الرحى ، وتسأله خادما فلم تجده ، فذكرت لعائشة رضى الله عنها فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته ، قال على: فجاء نا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم ، فقال: مكانكما ، فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على بطنى فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما مما سألتما ، إذا أخذتما مضاجعكما فسبّحا الله ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم-''(٢٣)

وصح عن أسماء قالت : كنت أخدم الزبير خدمة البيت كلّه ، وكان له فرس وكنت أسوسه ، وكنت أحشّ له ، وأقوم عليه- وصح عنها أنها كانت تعلف فرسه ، وتسقى الماء ، وتخرز الدلو ، وتعجن تنقل النوى من أرض له على رأسها على ثلثى فرسخ-(٢٤)

فاختلف الفقهاء فى ذلک ، فأوجب طائفة من السلف والخلف خدمتها له فى مصالح البيت ، وقال أبو ثور عليها تخدم زوجها فى كل شيئ- ومنعت طائفة وجوب خدمته عليها فى شيئ ، وممن ذهب إلى ذلک مالک ، والشافعى ، وأبو حنيفة ، وأهل الظاهر ، قالوا: لأن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع ، لا الاستخدام وبذل المنافع ، قالوا: والاحاديث المذكورة تدل على مكارم الاخلاق والتطوع ، فأين الوجوب منها-(٢٥) واحتج من أوجب الخدمة ، بأن هذا هو المعروف عند من خاطبهم الله سبحانه بكلامه ، وأما ترفيه المرأة ، وخدمة الزوج ، وكنسه ، و طحنه ، وعجنه ، وغسيله ، وفرشه ، وقيامه بخدمة البيت ، فمن المنكر، وقال الله تعالى:{وَلَهُنّ مثل الذِىْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ}(٢٦)

وقال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء}(٢٧)

وإذا لم تخدمه المرأة ، بل يكون هو الخادم لها ، فهى القوّامة عليه وأيضا: فإن المهر فى مقابلة البضع، وكل من الزوجين يقضى وطره من صاحبه ، فإنما أوجب الله

سبحانه نفقتها وكسوتها ومسكنها فى مقابلة استمتاعه بها وخدمتها وماجرت به عادة الازواج-

والدليل الآخر على وجوب خدمة الزوجه للزوج ، هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

''لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها-''(٢٨)

وللنساء على أزواجهن هذا الحديث يكفى قال الرسول صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا-''(٢٩) وفى حديث آخر : خيركم خيركم لأهله وأنا خير كم لأهلي-''(٣٠)

نفقة الأولاد والأقارب:

ولدارس القرآن الكريم الحقوق ظاهرة ما تجب فى العشيرة للآخر على الآخر- قال الله تعالىٰ:

{وَعلَى الْمَوْلُودِ لَه رِزْقُهنَّ وَكِسْوَتُهنَّ بِالْمَعْرُوفِ}(٣١)

فهذا رزق المرأة على زوجها بسبب الولد-

وقوله تعالى: {وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوْا أَوْلاَدَكُمْ}(٣٢)

أي تطلبوا لهم مرضعة- وظهر من ذلک النص وجوب نفقة الأولاد على أبيهم- وعن عائشة أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح ، وليس يعطينى ما يكفينى و ولدى إلا ما أخذت منه وهولا يعلم ، فقال: خذى ما يكفيک و ولدک بالمعروف-(٣٣)

وقد استدل بهذا الحديث على جواز ذكر الإنسان بما لا يعجبه إذا كان على وجه الاستفتاء والاشتكاء ونحو ذلک ، وهو أحد المواضع التى تباح فيها الغيبة-

وفيه وجوب نفقة الزوجة وأنها مقدرة بالكفاية وهو قول أكثر العلماء- والحجة فى ذلک قوله تعالى : '' لينفق ذو سعة من سعته(٣٤)و نفقة الأولاد على الأب وتربية الأولاد والطعام وكنس البيت وغير للأولاد على أمهم- وذهبت الشافعية إلى اعتبار حال الزوج تمسكا بالآية ، وهو قول بعض الحنفية- وقال البغوى : يجب على الرجل نفقة الوالدين والمولودين لقول النبى صلى الله عليه وسلم لهند: ''خذى ما يكفيک وولدک بالمعروف-'' وفيه دليل على وجوب نفقة الولد ، وإذا وجب على الرجل نفقة

ولده فنفقة والده أولى مع عظم حرمته والدليل على ذلک قوله صلى الله عليه وسلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إن لى مالا و ولدا وإن والدي يحتاج مالي- قال: ''أنت ومالک لوالدک ، إن أولادكم من أطيب كسبكم كلوا من كسب أولادكم-''(٣٥)

ففيه دليل على أنه على أنه إذا لم يكن للولد مال ، وله قدرة على الكسب يلزمه أن يكتسب للإنفاق على والديه ، وكذلک الولد وذهب بعض أهل العلم إلى أن يد الوالد مبسوطة فى مال ولده يأخذ منه ما يشاء ، وذهب عامتهم إلى أنه لا يأخذ إلا عند الحاجة-

داخل الأسرة يؤثرعلى نظم المجتمع والفساد:

إن الدارس للقرآن لما يعلم ما يلزم عليه من الحقوق ، واللوازم لأفراد الأسرة ، فاجتهد لأدائها ، فيكون هو مهذبا بالشريعة الإسلامية ، وبعد هذه التربية والتهذيب هو ينظر إلى المجتمع فهنا يجد الحقوق عليه لافراد المعاشرة والمجتمع- والذى يسبر النفس الإنسانية ، ويراقب تصفات البشر ، وبدرس تاريخهم فى ماضيهم وحاضرهم يصل إلى نتيجة مؤكدة لا يكاد يختلف عليها ، وهي أن الصراع أزلي فى حياة الإنسان ، وإن وجود عد يصارعه الإنسان أمر ضروري له ، فلا يتصور للإنسان وجود على ظهر الأرض إن لم يوجد العدو الذى يوجه إليه اعداء ه ، ومتى خلت حياته من عدو وجه عداء ه إلى من لا يعاديه-

فاذا رفض بعض النّاس النزول إلى حلبة الصراع ، ورفضوا معاداة الآخرين ، فان هؤلاء الذين رفضت اعداء هم ينصبون لک الأحابيل ، ويضعون لک المخططات لتدميرک وهلاکک ، ولا يلقون سلاحهم حتى يصلوا إلى أهدافهم ، هذا الذى قراناه هنا نص عليه القرآن الكريم ، فالقرآن يقرر أن البشر دائموا الاختلاف فيما بينهم:

{وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَo إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّکَ وَلِذَلِکَ خَلَقَهُمْ }(٣٦)

و من الاختلاف ينشاء الصراع ، و يتصادى البشر فيما بينهم وانظر إلى خير البشر ، وهم الأنبياء والمرسلون ، هل خلت حياتهم من الصراع؟ وهل هادنهم الناس ، وتوقفوا عن معاداتهم:

{وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيٰطِيْنَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِيْ بَعْضُهمْ إِلٰى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً}(٣٧)

تلك سنة من سنن الله فى خلقه ، فما أرسل الله من رسول ، ولا بعث من نبى الاعودى ، وتألبت عليه قوى الشر ، فلا يجوز للمرء أن يطمع فى أن يعيش حياة هادئة ، لا يمكر صفوها مكر الأعداء ، وظلم الأشقياء ، و مؤامرات الطواغيت ، بل على المرء أن يوطن نفسه على خوض صراع طويل مرير ، لا يتوقف إلا إذا توقف فى الانسان بنضات قلبه ، ولا يهدأ إلا إذا هدأت أنفاسه ، والذين لا يريدن أن نفقه هذه الحقيقة اليوم هم أعداؤنا أو أولياؤهم ، الذين يريدون ترجيننا كي ينالونا بسهولة عند ما تسنح الفرصة لهم-

ضرورة تحديد العدو فى معركة الصراع:

وما دام الصراع ضروريا لا انفكاك عنه ، ولا خلاص منه فلا بد من تحديد العدو الذى ينبغي أن تتجه قوانا وجهودنا إلى مصارعته ومحاربته ، فتحديد العدو ضرورى جدا ، وإذا لم يوفق الإنسان فى معرفة عدوه فإنه يتخذ العدو صديقا ، والصديق عدوا فيوجه المرء قواه لتدمير نفسه ، ونفع عدوه-

تعريف الله لنا بأعدائنا من الجان والإنسان:

وحتى لا نضل فى مجال الصراع ، فان الله عرفنا بأعدائنا من اللحظة الأولى لإحيائنا ، فعند ما خلق الله أبانا آدم حدد له عدوه تحديدا واضحا بيّنا: {إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ}(٣٨) وكما فعل الله بآدم فعل ببنيه ، فقد أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب يعر فهم بأعدائهم ، ويحذرهم من هؤلاء الأعداء-

{يَا بَنِيْ آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ}(٣٩)

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَة اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه أَفَتَتَّخِذُونَه وَذُرِّيَّتَه أَوْلِيَاء مِن دُونِيْ وَهمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِيْنَ بَدَلاً}(٤٠)

وعداوة الشيطن للإنسان عميقة الجذور ، لا يمكن أن نتوقف أبدا ، فعندما طرده الله من جنته ورحمته ، وأسقط كرامته ، وأبطال طاعته لعصيان أمر ربه فى السجود

لآدم طلب من الله إبقاء ه حيّا إلى يوم القيامة ، لا لشيئ إلا للكيد لبنى آدم واهلاكهم وتدميرهم-

{قَالَ أَنظِرْنِيْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَo قَالَ إِنَّکَ مِنَ المنظَرِيْنَo قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِيْ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَکَ الْمُسْتَقِيْمَo ثُمَّ لآتِيَنَّهم مِّن بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهمْ شَاكِرِيْنَ}(۴۱)

ويقف فى صف الشيطن كل من البشر الذين خرجوا عن منهج الله ودينه وشريعته على اختلاف طرائقهم ومذاهبهم ، فقد انقسم البشر إلى فريقين وحزبين: وفريق يتولى الرحمن ويحبه ، ويطيعه ويسير وفق هديه وشريعته ، وفريق يتولى الشيطن ويطيعه وينفذ مخططاته-

وليس من الضرورى أن يقر حزب الشيطن بالولاء الصريح للشيطن ، فكثير منهم يلعنه ولكنهم من أوليائه وحزبه ، لأنهم يسيرون وفق خطواته التى اختطها ، وكل مبدأ ومنهج وعقيدة وطريق يخالف ما جاء من عندالله فهؤلاء الحزب الذين يفسدون المجتمع ويسعون فى فساد الأرض ، فهم الذين لا يجتهدون لإيفاء حقوقهم التى لزم وفرض الله عليهم لأفراد المعاشرة، وهم أيضا يفسدون فى عائلتهم فينظر للإنسان الصراع-

تكامل المجتمع ورد الفساد:

الإسلام وحده هد الدين الذى يملک الخصائص التى تؤهله للبقاء فهو الدين الإلهى الربانى الذى يصلح النفوس والقلوب والعقول والأعمال ، وهو الصالح لأن يأخذ دوره فى اصلاح المجتمع أولا وثانيا العالم كله-

وذلک نحصل عليه بزيادة حصص مادة التربية الإسلامية ، أو تعميمها فى جميع مراحل التعليم ، وإنما إعادة صياغة المنهج المدرسى كله على أسس اسلامية ، تأليف مفرداته وصوغ معطياته من منظو اسلامي ، وصبغ التعليم كله بالصبغة الإسلامية ، لخلق جيل متماسک الشخصية ، محدد الهوية ، واثق بنفسه ، مؤمن برسالته- فنذكرالجهد لتهذيب المجتمع فى النقاط التالية:

۱-توجه الشباب إلى المنهج الإسلامى والحماس للإسلام والدعوة إليه وعمارتهم للمساجد ، ومحاولتهم الالتزام بالإسلام وشعاراته-

٢-عودة نسبه كبيرة من النساء إلى الالتزام بالإسلام فكرا وسلوكا-

٣-تردد أصداء الدعوة إلى الإسلام فى مختلف ديار الإسلام-

٤-الدعوة إلى أصدار تشريعات وقوانين مستوحاة من الشريعة الإسلامية أو مستمدة منها-

٥-النشاطات والمجامع العلمية ومعاهد العلم التى تقام فى كل مكان ، كالمؤتمرات والتجمعات والمدارس والكليات الإسلامية التى نراها تنشر فى كل مكان- اصحاب هن واساتذ الجامعات وغيره تساهم فى تهذيب المعاشرة والمجتمع-

الهوامش

١- الاسراء:٨٢

٢- طٰهٰ: ١٢٤

٣- الافريقى ، ابن منظور ، مُحَمَّد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت: داراحياء التراث العربى بدون التاريخ ، ١،٦٠

٤- انظر: عمر عبدالله ، سلم الوصول إلى علم الأصول ، طبعة مؤسسة المطبوعات الحديثة

٥- الدخان:٥٤

٦- الافريقى ، ابن منظور ، لسان العرب، ٢،٦١

٧- مغنى المحتاج ، ص١٢٣

٨- الواضح فى شرح قانون الاحوال الشخصية الأردنى ، عمان: دارالنفائس ، ص٢٧

٩- الفرقان:٥٤

١٠- الروم:٢١

١١- المصدر السابق نفسه

١٢- النساء:١

١٣- النحل:٧٢

١٤- النور:٣٢

١٥- البخارى ، مُحَمَّد بن اسماعيل ، الامام ، الجامع الصحيح ، رقم الحديث:٥٠٦٥
مسلم بن حجاج القشيرى ، الامام ، الجامع الصحيح ، رقم الحديث:١٤٠٠ واللفظ له

١٦- الرعد:٣٨

۱۷- النساء:۳

۱۸- البقرة:۲۳۲

۱۹- خطیب التبریزی ، ولی الدین ، الامام ، مشکوة المصابیح ، ۱۵۸،۲

۲۰- المصدر السابق ، ۱۶۱،۲

۲۱- البقرة:۲۲۸

۲۲- انظر: ابن الحبیب ، الواضحة ، ص۹۸

۲۳- الترمذی ، أبو عیسی مُحَمَّد بن عیسیٰ ، الامام ، السنن ، رقم الحدیث: ۲۱۸

۲۴- انظر: حسن أیوب ، فقه الأسرة المسلمة ، القاهرة مصر: دارالسلام للطباعة والنشر ، ص۱۲۴

۲۵- المصدر السابق نفسه

۲۶- البقرة: ۲۲۸

۲۷- النساء :۳۴

۲۸- الترمذی ، مُحَمَّد بن عیسیٰ ، الامام ، السنن ، رقم الحدیث: ۱۱۷۵

۲۹- خطیب التبریزی ، الامام ، مشکوة المصابیح ، ۲۹۸،۲

۳۰- الترمذی ، مُحَمَّد بن عیسیٰ ، الامام ، السنن ، رقم الحدیث: ۱۷۸

۳۱- البقرة: ۲۳۳

۳۲- المصدر السابق نفسه

۳۳- خطیب التبریزی ، الامام ، مشکوة المصابیح ، ۲۸۱،۱

۳۴- حسن أیوب ، فقه الأسرة المسلمة ،ص۲۷۶

۳۵- هود:۱۱۸،۱۱۹

۳۶- الانعام:۱۱۲

۳۷- طٰهٰ:۱۱۷

۳۸- الأعراف: ۲۷

۳۹- الکهف:۵۰

۴۰- الأعراف:۱۴-۱۷